ذكريات مُحرمة

تركتَ الأسطي يعمل داخل الورشة، وخرجتَ أنت في خلسة لتعبث قليلاً.. أنت الآن علي هيئتك اليومية تقوم بفعلتك المعتاده التي لافكاك منها.. تغتصبها كل يوم، ولاتعطيك هي سوي المتعة والراحة.. فماذنب تلك العاهرة أيها البائس!

أخيراً.. وجدت منك الخلاص، بعدما نهلت بعضاً من متعة روحها وجسدها ثم دفعتها بيدك بلا وعي وسقطت هي أرضاً، انطفأ لهيبها.. خمدَ اشتعالها، وظل نصفها الأعلي عُذرياً دفعتها فجأة بدون تفكير مُسبق، لأنك عادة تسحبُ منها كل روحها ولاتُبقي متعة في جسدها إلا وسلبتها، كل هذا فجأة وبدون وعي، فثمّة متعة جديدة من نوع آخر تماما برقت في أفق ذكرياتك المتهالكة...فقط... بعدما أبصرتَها هبَ هواءً رطباً مُنعشاً داعبك في يوم شديد الحرارة.

مرت أمامك علي مهلٍ بتنوراتها الكحلية وقميصها الأبيض حاملة أدواتها المدرسية في ثقة لم تلبث أن اهتزت وارتبكت هي الأخري حينما لمحتك بطرف عينيها الواسعتين المزروعتين في وجه قمحي دقيقة تقاسيمه، وراحت نظراتها المختلسه تتطاردك، ونظراتك المتجمدة هي الأخري تتابعها، وذكرياتك معها تعود رويداً رويداً للحياة، وجنتاك المتسختان نضحتا بالدماء وأصبح لونهما أحمر قاتماً، مضت نشوي لذيذة من نوع آخر تداعب كل كيانك الصغير، احساس بالإنتشاء الرقيق لم تعهده منذ فترة كبيرة.

***

الأُسطي قد تفقد وجودك وأخذ يصيح بك من الداخل لتأتي إليه، لكنك لم تستجب، هو يزعق ويسبكْ ويلعنْ أباك وأمك من الداخل، وأنت في أوج تسمّرك وانتشاءك ولا تحرك ساكناً، فيما تفكر بهذا العقل الغائب الذي التهم للتو نصف سيجارة محشية لم تكمل نصفها الباقي.. أفيك عقل واعي قادر علي استحضار ذكريات عميقة مع صاحبة التنورة الزرقاء...ذكرياتك علي الدكة في المدرسة وأعوام الإبتدائي التي حتي لم تكملها عندما أخرجتك أمك من المدرسة لتعمل بعد أن مات أبيك في عز شبابه وأمك الآن تقتحمها عيون الرجال الوقحة، فتصرخ فيك كل يوم:

كُن رجلاً أعتمد عليه..

كيف ستصبح رجلاً وأنت الآن تستعيد ذكريات طفولة معها ، ستركن قلبك إلي رقة وإلي راحة، وأنت لاتحتاج سوي قلب غليظ وساعد شديد لتصبح رجلاً صلباً يُعتمد عليه كماتريدك أمك... أمك التي إن لم تفعل ستنقض عليهات الذئاب...ذئاب جائعة في عالم ليس له مكان لذكرياتك البريئة هذه ياصغيري، فلا تدع أحلامك تضعفك وتُرخي ساعدك، لا داعي إذاً لتذكر اللعب في حوش المدرسة في انطلاق وسعادة، والقفزعلي الدكك كالقرد لتُجذبْ انتباهها وتثير ضحكاتها المرحة، لا داعي لتذكر كم أحدثت من مشاكل بسبب الدفاع عنها ضد أي مخلوق يعترضها أو ياأخذ منها سندوتشاتها رغماً عنها، لاداعي لتذكر كم كانت تحس بك وتتألم عندما تضربك المُعلمة بالمسطرة علي ظهر يدك بعدما لا تجيب علي الأسئلة.

اسحب الآن ذاكرتك للأمام أيها الحشَّاشْ الصغير، فلقد تم دفن كل شيء، فعقلك أمسي يوماً بعد يوم مشوها! وأضحت روحُك مُلطخة بكل ماهو سيء من بذاءات وشتائم ولعنات.. وأفعال حقيرة تعلمتها هنا.. وأنت ترتدي العفريتة المُلطخة بالشحم والهباب عاملاً تحت بطون السيارات وتحت يد هذا الأُسطي سليط

اليد واللسان، كيف خفق قلبك وأضاءت فيه أنوار الحب وداعبته نسائم الشوق في عالمك هذا!، كيف تذكرت لحظاتك البريئة المنقضية وعثرت عليها في أنقاض طفولتك المقتولة!.. لملم ذكرياتك.. وئد ابتسامتك الحزينة.. أطفأ نشوتك المتوهجة، دعك من كل هذا الآن واستيقظ، فهاهي قد ابتلعها الزحام، وهاهو الأُسطي قادمُ إليك ويظهر من عينيه بريقُ غضبٍ مُخيف- بعدما يأس من استجابتك له- حاملاً معه (طفشة خشب)، من الواضح أنه سينهال بها عليك ضرباً، ولكن لاتنسي أن تحمل ماتبقي من سيجارتك المحشية ياصغيري فهي الآن عشيقتك التي لن تتركك أبداً!...بل أنت من ستتركها.